تعقيبًا على مقال أ. د عماد عبد اللطيف:
"ما لم يقُلهُ بايدن في خطابه"[1]

د. جميل مثنى الحِبَري*
jameelalhipary56@gmail.com

ويتماهى أيضًا مع هذا الخطاب للرئيس الأمريكي جو بايدن، الذي تناوله د. عماد عبد اللطيف[2] بالتحليل، خطابُ وزير خارجيّته أنتوني بلينكن، بخصوص ما أقدمت عليه حركةُ حماس، مُمثّلًا ذلك في ذراعها العسكري (كتائب القسّام)، بالتنسيق مع سرايا القدس، الذراع العسكري لحركة الجهاد الإسلامي، في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م، من اقتحامٍ للعديد من المُستوطنات الإسرائيليّة في مُحيط قطاع غزّة المُحاصر منذ عام ٢٠٠٧م، لما يزيد عن ستة عشر عامًا، والتغلغل فيها، والاشتباك مع القوّات الإسرائيليّة، أسفرت عن اقتياد العشرات من الضُبّاط والجُنود والمدنيّين الإسرائيليّين إلى غزّة، وأسرهم فيها، في عمليّة خاطفة أُطلقت عليها (طُوفان الأقصى). إذ ألقى بلينكن الخطابَ ذاته، أي بما يتّسق مع خطاب بايدن المُشار إليه آنفًا، على إثر وصوله تلّ أبيب بعد أيّامٍ من وقوع الحادثة. ويبدو أنّ المُلقِّنَ واحدٌ، والتوجّه صادرٌ عن موقف ورؤية ذات مرجعيّة واحدة، فالكفر مِلّةٌ واحدة- إذ وصف الفلسطينيّين المُقاومين بالإرهابيّين، وأنّهم قد اعتدوا على المدنيّين المُسالمين، وقطعوا رقاب الأطفال والشيوخ، واغتصبوا النساء، وارتكبوا الجرائم والمُوبقات، وأنّهم غدروا بهم في يوم إجازتهم، ولم يُراعوا ما

---

(١) المنشور في صحيفة الشروق المصرية: http://www.shorouknews.com/mobile/columns/view.aspx?cdate=12102023&id=42976cf1-41cd-9ac4-aa2cf0ab6883، وفي موقع أكاديميا (Academia): https://www.academia.edu/resource/work/108065888، وفي صفحته على (Facebook): https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=pfbid02.

* باحث أكاديمي من اليمن، مُتخصّص في الأدب الحديث ونقده، وفي نقد النقد وتحليل الخطاب.

(٢) أستاذ البلاغة والنقد الأدبي وتحليل الخطاب في جامعة القاهرة، وفي جامعة قطر.

يؤدّونه من طقوس دينيّة، وفي قراءتهم التلمود وسِفر التكوين- وكلّ ذلك تمّ على غفلةٍ منهم في بضع ساعات- واصفًا إيّاهم بأنّهم لا يختلفون عن تنظيم داعش، فضلًا عن تصريحه أنّه قد جاء إلى تلّ أبيب بوصفه يهوديًّا، وليس كمسؤول أمريكي فحسب. ممّا دفع بالرئيس رجب طيّب أردوغان إلى الردّ عليه وانتقاده، في يوم تالٍ، في خطابه الذي ألقاه بمناسبة ما يجري في غزة خاصّة، وفي المحيطين الإقليمي والدولي عامّة، وتحديدًا في ملفوظ خطابه هذا؛ واصفًا إيّاه وإدارة بايدن بالتحيّز والعنصريّة في التعامل مع القضايا العربيّة والإسلاميّة، وأنّه قد تعلّم الدرسَ إزاء تعاطيهم السلبي مع ملف تنظيم (PPK) الإرهابي حدّ وصفه، وما عانته تركيا منذ عقود وما زالت جرّاء هذه السياسة الفجّة. ويتساءل أردوغان، كيف لوزير دولةٍ عُظمى أن يُصرّح بهكذا خطاب؟ مُحاجًّا إيّاه بمنطقه؛ بأنّه إذا كان الأمر كذلك، فبإمكاني أن آتي غزةَ بوصفي مُسلمًا، وليس كرئيس تركيا فحسب، وأتعامل بالمثل! ولكنّ الأمر يقتضي في سياسات الدول وأعرافها، بأن يتمّ مُعالجة هذه المآسي والصراعات بين الأطراف المُتنازعة بالدبلوماسيّة، وبدافع الإنسانيّة- في المقام الأول- لوقف إطلاق النّار والحدّ من استمرار نزيف الدم. فما بالكُ بشعبٍ يُخطّط له، ويُتوعّد- حسب خطابات أمراء الحرب لهذا الكيان الصهيوني- بأن يُباد عن الوجود، وأن يُمسَح من الخارطة، وأن يُقصف بأحدث أنواع الأسلحة وأفظعها وأشدّها فتكًا وإبادة. إذ صرّحت إسرائيل أنّها قد قصفت خلال بضعة أيّام ما يزيد عن أربعة آلاف طن من القنابل، أي ما يُعادل ربع قنبلة نوويّة، التي يبلغُ وزنها حوالي خمسة عشر طنًا، كتلك التي قُصفت بها مدينتا نجازاكي وهيروشيما اليابانيّتين. ولو أنّ هذا الخطاب- المُترجم بالطبع من قِبل المحطّة الناقلة له- كان مسموعًا، ولم يكن مرئيًّا عبر شاشات الفضائيّات، لتبادر إلى ذهن السامع مُنذ أول وهلة أن المتكلم- مُلقي هذا الخطاب- قد يكون بنيامين نتنياهو أو بن غيتس أو بتسلئيل سموتريتش أو بن غفير أو أحد قادة هذا الكيان الصهيوني الغاصب. ولم يقتصر هذا الخطاب على وزير الخارجيّة، وإنّما طاوعه واتّسق معه أيضًا، خطاب وزير الدفاع الأمريكي

لويد أوستن الذي قطع زيارته لبعض الدول الأوروبيّة، متوجّهًا صوب تلّ أبيب لمواساتهم. وقد أدلى بخطابه في المؤتمر الصحفي الذي عقده مع نظيره الإسرائيلي يوهاف جلنت في ١٣ أكتوبر، مُعربًا فيه عن مُؤازرتهم والوقوف إلى جانبهم في هذه الظروف العصيبة حسب تعبيره، وإن خفتتْ حدّة خطابه عن خطاب بلينكن المُتباكي. ولعلّ هذا الخطاب يشمل المنظومة السياسيّة الأمريكيّة في عهودها السابقة والحاليّة، بالارتهان في سياساتها وقراراتها للوبي الصهيوني المُستحوذ على دوائر صنع القرار السياسي وعلى صُنّاعه في أمريكا، لا سيّما حينما يتعلّق الأمر بالانتخابات، وفي إبداء هؤلاء الساسة تملّقهم لهذا اللوبي، وفي تنافسهم على تقديم صكوك الولاء والطاعة له، وعلى ما يتّسق مع توجّهات هذا الكيان وإملاءاته، وفي ما يصبُّ في خدمته، وخدمة أجنداتِه ومصالحه. وممّا يدل على ذلك ما صرّح به الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، الذي يتسابق حاليًّا مع منافسيه من حزبه الجمهوري على الترشّح للانتخابات القادمة أواخر العام القادم ٢٠٢٤م، والذي كان مُتفانيًا إلى حدٍ بالغ في خدمة الكيان، وفي تمرير سياساته في فترة حكمه (٢٠١٦-٢٠٢٠م)، أبرزها نقله السفارة الأمريكية من تلّ أبيب إلى القدس، تمهيدًا لتهويدها، وفي تمرير صفقة القرن بالتواطؤ مع المُتصهينين من حكّام العرب. إذ أدلى بأنّه طالما حذّر من خطورة الأمر وتفاقمه، يقصد حماس، وأنّ المواجهة لا تقتصر ضدّها فحسب، وإنّما ضدّ قوّة كبيرة، في إشارة إلى إيران وأذرعها في المنطقة. ناهيك عمّا ألقاه رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في مبنى الكنيست اليوم، لإقرار الحرب- والذي أقلّ ما يمكن وصفه بأنّه خطاب مذابح وإبادة- وبتصويت جميع أعضائه، ورفض أربعةٍ منهم من مُمثّلين الكتلة العربيّة، أبرزهم أحمد الطيبي. فاللُّغة هي ذاتُها، والنُّواح والتباكي هو ذاته ما حمله الخطابان، وما ساقاه من مُبرّرات وحِجَج. بل إنّ هذا الأخير- أي نتنياهو- قد وصف يوم ٧ أكتوبر بأنّه يومٌ أسود، وأنّه لا يقلّ إجرامًا وفظاعةً، على حدّ وصفه، عمّا حدث للإسرائيليين في الهولوكوست إبّان النازيّة على يد هتلر.

ومن العجيب أن يصُدر ملفوظ خطاب بلينكن- وما يحمله ويتضمّنه من تضليلٍ وادّعـاءات مُزيّفة ضدّ الفلسطينيّين المُدافعين عن أرضهم وحقوقهم وكرامتهم دفاعًا مشـروعًا- عـن وزيـر خارجيّة دولةٍ عظمى تدّعي أنّها راعية السلام، وحامية الديمقراطيّة، ومعنيّة بحقـوق الإنسـان، مُصدّعةً رؤوسنا بذلك، متشدّقة به صـباحًا ومسـاء، في الوقـت الـذي تراجعـت فيـه كُبريـات الصحف العالميّة في أمريكا وأوروبا، وباعتراف كُتّابها ومُحرّريها، كما أقرّت بذلك مُحرّرة صـحيفة الاندبندنت البريطانية، بأنهم كانوا ضحيّة روايـات بعـض العسـكريّين الإسرائيليّـين المُتطـرّفين المشهورين بالكذِب والتدليس- مُتناولين إيّاها وكأنّها حقائق دون تحقّق- في مقدّمتهم ديفيد بـن زيـون (David ben zion)؛ إذ صـوّروا لهـم أحـداثًا دراماتيكيّـة ومشـاهد هيليوديّـة، كـأفلام (Action)، بل وفاقوا ذلك، إلى درجة قيـامهم بتحويـل صـورة كلـب مـريض، بتقنيـة الـذكاء الاصطناعي، إلى رضيعٍ مُتفحّم، وادّعاء أنّ حماس هي من قامت بهذه الجريمة النكـراء، لتأليـب الرأي العـام ضـدّها، ممّـا أوقـع تلـك الوسـائل الإعلاميّـة العالميّـة فريسـة تلـك التضـليلات والادعاءات المُغرضة (Propaganda)، وانساقت وراءها، بل وسارعت إلى نشرها. فضلًا عـن أنّ بايدن نفسه وطاقم موظّفيه في البيت الأبيض، قد أقرّوا اليوم أنّهـم أيضـاً قـد وقعـوا في هـذا الشرَك، نتيجة اعتمادهم في استقاء تلك المعلومـات عـلى مـا أذاعتـه وروّجتـه وسـائل الإعـلام الإسرائيليّة. ومن جانب آخر، إنْ كانت ثمّة شفافيّة وإنصاف للعدو- أي لحركـة حمـاس- عـلى حدّ تعبيرهم، يمكنُ طرحُ تساؤل: لماذا لم يُشر بلينكن لما قامت به الحركـة مـن إفـراج عـن تلـك المرأة وطفليها يوم أمس؟! ولماذا لم يتناول، بل ولم ينبس ببنت شِفة عـمّا يحـدث للمـدنيّين الـذين يتجاوز عددهم مليوني إنسان من مجازر وحشيّة، وقصف مُمنهج للمبـاني والأحيـاء عـلى رؤوس ساكنيها، بما فيها المستشفيات والمدارس والمساجد والبنية التحتية ومباني الإيـواء التابعـة لمنظمـة الأونروا؟!! ناهيك عن استهداف الأطبّاء والعـاملين في المُـنظمّات الدوليّـة والصـحفيّين، بـل لم يسلم في غزة أيّ شيء، بشرًا كان أم حجرًا، فقد استباح الصهاينة، وباتت أرضًا مُستباحة لآلتهم

المُميتة، وللقصف الإجرامي الدموي الفادح. ناهيك عن الحصار المُطبق، ومنع المياه والكهرباء والدواء والوقود والنت. إنّها جرائم إبادة جماعيّة، وبدمٍ بارد تُنفّذ، وبرعاية أمريكيّة وأوروبيّة بحقّ شعب أعزل، غالبيّتهم من الأطفال والنساء والشيوخ، وعلى مرأى ومسمعٍ من العالم. ناهيك عن الدور المشبوه لوسائل الإعلام العالميّة ومنصُات التواصل الاجتماعي، وتواطئِها السافر، وتحيّزها الفاضح لدولة الكيان الصهيوني، وما تُمارسه من سياسة الكيل بمكيالين إزاء الصراع العربي الإسرائيلي. وما التحقيق الذي أجراه الصُحفي الاستقصائي تامر المسحال المُحرّر بقناة الجزيرة، في برنامجه (ما خفي كان أعظم)، بعنوان "الفضاء المغلق" عن منصّات META: (واتس أب، انستغرام، فيسبوك) سوى غيض من فيض. الأمر الذي يتحتّم علينا أن نتحرّر من ربقة الارتهان لهذه المنصّات المُهيمنة على حريّة التعبير ومنابر الرأي، ومُصادرتها لما يتنافى مع توجّهاتها وسياساتها المكرسة لخدمة هذا الكيان الغاشم، وأن نحذوَ حذو الصين وروسيا، وإيران مُؤخّرًا التي نجحت في خلْق منصّات موازية لتلك المنصّات المُستحوذة على العالم الافتراضي لشعوب دول العالم كافّة: (آيتا) بدلًا عن (واتس أب)، و(سروتش) بدلًا عن (تيليجرام)، و(روبيكا) بدلًا عن (انستغرام)، و(فيس نما) بدلًا عن (فيسبوك).